# المحاضرة الرابعة: البنية علم النفس المرضي

أدرج بارجوري مسألة السواء و اللاسواء في إطار علم النفس المرضي التحليلي مفهوم "البنية". فبعدما كان فرويد يعطي الأهمية الكبرى لمراحل النمو الجنسي الثلاث (الفمي، الشرجي، القضيبي)، فإن بارجوري في إطار التصنيف السيكوباتولوجي اسند أهمية كبرى للعلاقة بالموضوع و مفاهيم الذات و النزوة. و ينوه بأن ماضي البنية هو مراحل النمو (النرجسية، الاتكالية و الثلاثية الاوديبية) أما مستقبلها فهي الطبع أو المرض.

## 1- مفهوم البنية في علم النفس المرضي:

يعرف بارجوري البنية النفسية على أنها ذلك التنظيم الثابت و النهائي لمكونات ميتاسيكولوجية أساسية سواء كانت الحالة مرضية أو سوية. و ربط بارجوري في (سي موسى و بن خليفة، 2008، ص.37) مفهوم البنية في إطار علم النفس المرضي التحليلي بمسألة السواء و اللاسواء، مركزا على فكرة هشاشة الخط الفاصل بينهما، إذ أن الفرد السوي يمكن أن يصبح في أي لحظة لا سويا وينتكس شرط أن لا يتعلق الأمر بتنظيم اعتمادي، لأن هذا التنظيم لا ينتمي إلى بنية مؤكدة. و يشير بأن تشخيص السواء يتطلب فحصا للطريقة التي يتلاءم بها الشخص مع بنيته النفسية الخاصة، فمفهوم السواء لديه يتعلق بحالة التلاؤم الوظيفي الناجح ضمن بنية ثابتة فقط، سواء كانت عصبية أو ذهانية، في حين تناسب المرضية انقطاعا ضمن نفس الخط البنيوي".

و كان فرويد قد أشار إلى البنية من خلال ظهور الاضطراب النفسي تبعا للتصدعات و يقول في ذلك. "إذا سقط بلور من الكريستال، فإنه لا ينكسر بأي حال من الأحوال، بل حسب خطوط الضعف والقوة التي حدثت عند تكوينه، وهي خاصة بكل جسم، وهذه الخطوط تبقى خفية حتى ينكسر البلور، أو يوضع تحت جهاز خاص، وبالنسبة لبنية الشخصية فهي تسلك نفس المدرج". (معتصم ميموني، 2005. ص57) غير أن بارجوري كما جاء في (سي موسى و بن خليفة، 2008: ص.ص. 38-39) يرى بأن السواء يجب أن يكون مستقلا عن مفهوم البنية، ذلك أن الفرد بإمكانه أن يكون سويا دون أن يبلغ المستوى الأوديبي، يجب أن تصنف ضمن مستوى أعلى من التنظيم البنيوي الذهاني. فالهوة لا تكون بين الأسوياء من جهة والمرضى( العصابيين والذهانيين) من جهة أخرى، بل تكون بين العصابيين والأسوياء في كفة واحدة من جهة، ومجموعة (غير الأسوياء) التي تضم بقية الأفراد في كفة من جهة أخرى، وهي التي وصفت بالذهانيين وما قبل الذهانيين على اختلاف أنماطهم، بما فيها الحالات الحدية، والطبعية، والانحرافية. و على هذا الأساس فقد قابل بين ما سماه البنيات الحقيقية (العصابية والذهانية)، مع أو بدون هيأة مرضية، وبين التنظيمات البسيطة الهشة التي تصارع ضد الاكتئاب، وذلك بواسطة الحيل الطباعية أو السيكوباتية المتنوعة والمسماة بـ "شبه السوية". و يعتبر أن استقرار البنية يحدد تطورا خطيا

لتنظيم نفسي إما عصابي أو ذهاني، ويكون معوضا بنجاح عن طريق التسوية في إطار نفس الخط، وإذا لم يسعفه التماسك بين تلك الاستثمارات النرجسية و الموضوعية، ينتكس الفرد في إطار ذلك الخط العصابي أو الذهاني.

و يعمل بارجوري بمفهوم الطبع، الذي يشكل حسبه "الصدى العلائقي غير مرضي للبنية"، والذي يفترض أن أي تنظيم بنيوي للشخصية يمكن أن يتجلى في الحياة العلائقية، سواء على شكل عناصر للطبع في حالة التكيف السوي، أو على شكل أعراض في حالة اللاتكيف والمرض. كما يعمل أيضا بمفهوم سمات الطبع ليبين أنه في:" حالة وجود نقص في البنية القاعدية، لا يبدو الطبع في حد ذاته مجهزا لإنجاز مهمته العلائقية بطريقة متكيفة، لذا يلجأ الأنا إلى سمات الطبع كوسيلة نجاة من الاضطرابات، فهي تمثل إذن عمليات طبعية إضافية، والتي تظهر سواء في عناصر دفاعية (سمات طبع بنيوية)، أو في عناصر نكوصية (سمات طبع نزوية)، وعليه فإننا نجد سمات الطبع تساهم في الإجراءات الوظيفية، سواء لبنية ما مندرجة في حالة السواء، أو لبنية أخرى نجدها في حالة معروفة على أنها مرضية.

## 2- تكوين بنية الشخصية:

تتمثل مراحل تكوين البنية حسب باجوري كما جاءت في (ميموني معتصم، 2005: ص.57) كالتالي:

- **المرحلة الأولى:** تبدأ من الولادة ويكون الأنا في حالة تمايز نفسي جسدي، لكن سرعان ما يبدأ في التمايز تدريجيا مع خروجه من الهو، وهذا تحت تأثير النضج، والعناية، والعلاقة مع الأم، وهنا إذا كانت الظروف الداخلية والخارجية مضطربة، فسيحدث تسجيل خطوط ضعف في هذه الفترة ونقطة تثبيت كما يقول "فرويد".

- **المرحلة الثانية:** يتطور البيدو ويتقدم في سيرورته، وتتطور العلاقات بالموضوع مع تنظيم الدوافع الجزئية، والأنا يتطور ويستعين بالآليات الدفاعية، وذلك حسب المحيط الخارجي وأخطاره، وأخطار داخلية ناجمة عن النزوات مما يسمح بتكوين تدريجي للشخصية. وهنا يتطور اليبيدو ويتقدم تبعا لـ:
  - العلاقات مع الوالدين، وخصوصا الأم ثم العلاقات مع أفراد المحيط.
  - تسقط كل التجارب النفسية على شكل صراعات وصدمات وتقمصات إيجابية.
  - تبدأ ميكانيزمات الدفاع النفسي تنتظم بطريقة تفاعلية.
  - تنتظم تدريجيا نفسية الفرد، وتصنف حسب العناصر الأولية، فتنتج منظمة داخلية ذات خطوط انشطار وتلاحم، والتي تكون غير قابلة للتغيير فيما بعد.
- **المرحلة الثالثة:** مع نهاية مرحلة البلوغ تكون البنية ثابتة ولا تتغير في توجهها الأساسي، وما دام صاحبها لم يتعرض إلى صدمات نفسية هامة(إحباط أساسي أو صراعات قوية.... إلخ)، فيبقى ذا بنية

عصابية أو ذهانية سوية، ولكن يمكن لأي حدث أن يحدث شرخا في البنية، وذلك حسب خطوط القوة والضعف الموجودة فيها.

فالبنية العصابية يتمركز الصراع فيها ما بين الأنا والنزوات، أما البنية الذهانية فيقتصر ثباتها على سيطرة الإنكار على جزء من الواقع مع سيطرت الدفاعات القديمة، وتوجد ما بين هاتين البنيتين، ما يعرف بالتنظيمات الحدية أو البينية، وتضم الأمراض السيكوسوماتية، السيكوباتية والانحرافات.

وتظهر هذه الحالات كمنظمة هشة أي تنظيمات قابلة للتغير، وليس كبنية ثابتة لأنها يمكن أن تطور إلى مسار الذهان أو العصاب.

## 3- مكونات بنية الشخصية:

تتحدد المكونات الميتاسيكولوجية الأساسية لبنية الشخصية حسب بارجوري في خمسة أبعاد، على أساسها يكون التشخيص، تلخصها (ميموني معتصم، 2005،ص.58) فيما يلي:

**1- <u>مستوى نكوص الليبيدو والأنا (التبلور)</u>**

- **البنية الذهانية:** النكوص لا يتعدى المرحلة الشرجية الأولى، والأنا ينكص إلى مرحلة اللاتمايز أو تمايز بدائي مما يجعله ضعيفا، فهو لا يلعب دور الوسيط، فيقع تحت سيطرة الهو.
- **البنية العصابية:** يرجع نكوص الليبيدو إلى الفترة الثانية من المرحلة الشرجية، مثل: ما هو في (العصاب الاستحواذي)، وإلى المرحلة الأوديبية أو القضيبية، الأنا تمايز كلية مع تمايز الموضوع.
- **التنظيم البيني:** يرجع نكوص أو التثبيت إلى المرحلة ما بين الشرجية الأولى والثانية، وقضيبية الأوديب لم تلعب دورها التنظيمي، الأنا تمايز لكن مازال اتكاليا، وتلعب الصدمة دورها من حيث تهديدها للكيان النرجسي مما يؤدي إلى تبعية اتكالية للموضوع.

**2- <u>نوع القلق:</u>**

- **البنية الذهانية:** هو قلق التجزئة، والتفكك، واليأس، والتلاشي، والموت، لن الأنا تفكك وانشطر بعدما كانت وحدة الأنا متماسكة.
- **البنية العصابية:** مهما كان نوع العصاب، فإن قلق الخصاء هو المسيطر على هذه البنية، أو قلق الإثم والخطأ و يعاش في الحاضر، وهو مركز على ماضي شهواني.
- **التنظيم البيني:** هو قلق ضياع الموضوع (الأم) والانهيار.

**3- <u>العلاقة بالموضوع:</u>**

- **البنية الذهانية:** نجد علاقة نرجسية كاملة، لأنها مدمجة في نرجسية الأم، وتؤدي إلى التوحد والانطواء والتخلي عن الموضوع، وتوظيف الواقع مع تكوين واقع جديد من خلال الهذيان والهلوسة، فهي إذن علاقة أحادية حيث يعتقد أنه وأمه شخص واحد.
- **البنية العصابية:** علاقة ثلاثية تناسلية: "طفل-أم-أب "

- **التنظيم البيني:** علاقة ثنائية إتكالية: "طفل–أم" وليست علاقة اندماجية.

**4- <u>طبيعة الصراع:</u>**

- **البنية الذهانية:** يكون الصراع بين الهو والواقع، ولا يكون بين الأنا والواقع، لأن أنا الذهاني غير موجود أو بدائي، ولا يقوى على دور الوسيط بين الواقع والهو الذي يرفض سيطرته.
- **البنية العصابية:** يكون الصراع جنسي بين الأنا الأعلى والدوافع "رغبات ونزوات"، مما يؤدي إلى الشعور بالذنب وقلق الإخصاء.
- **التنظيم البيني:** يكون الصراع بين مثال الأنا والهو، والذي لم يبلغ المستوى التناسلي، أما الأوديب لم يلعب دوره المنظم، ويبقى ذو طابع نرجسي مع قلق فقدان الموضوع والتهديد بالانهيار.

**5- <u>الآليات الدفاعية الأساسية:</u>**

- **البنية الذهانية:** الإنكار أو تجاهل الواقع مع ازدواج الأنا.
- **البنية العصابية:** هنا الآليات متطورة أهمها: الكبت والتحويل.
- **التنظيم البيني:** إزدواج الصورة الهوامية، مع تقسيم الحقل العلائقي إلى جزأين:
  - **الأول:** تقدير وفهم صحيح للواقع، ويعني ذلك تكيف صحيح.
  - **الثاني:** تقدير مثالي للواقع، وفي نفس الوقت نفي له.

**الجدول (02) : مقارنة بين المكونات الأساسية لبنية الشخصية**

| نوع البنية | البعد المسيطر على التنظيم | طبيعة الصراع | طبيعة القلق | ميكانيزمات الدفاع الأساسية | العلاقة بالموضوع | مستوى نكوص الليبيدو والأنا |
|---|---|---|---|---|---|---|
| البنيات العصابية | الأنا الأعلى | الأنا الأعلى مع الهو | من الإخصاء | الكبت، والعزل والتكوين العكسي | تناسلي | المرحلة الأوديبية |
| البنيات الذهانية | الهو | الهو مع الواقع | من التفكك، الموت، الفناء | نفي الواقع. إزدواج الأنا | إندماجي | المرحلة الفمية |
| التنظيم الحدية | مثال الأنا | مثال الأنا مع الهو والواقع | من فقدان الموضوع | ازدواج الصورة الهوامية، والإنشطار | اتكالي | المرحلة الشرجية |

**المصدر:** (Bergeret 2003, p.)

**و في الأخير:** فإن فهم تشكل البنية يسهم بدرجة كبيرة في فهم ما يندرج ضمنه من اضطرابات نفسية في كل بنية من البنيات، الذهانية و العصابية و كذا التنظيم الحدي. كما توضح مكونات بنية الشخصية بأبعادها الخمس: مستوى نكوص الليبيدو والأنا، نوع القلق، العلاقة بالموضوع، طبيعة الصراع، الآليات الدفاعية المستعملة على فهم التنظيمة النفسية للفرد، و كذا وضع التصنيف و التشخيص الصحيحين للاضطرابات النفسية عند تفجر البنية.